دراسات الأدب المعاصر، السنة العاشرة، خريف ۱۳۹۷، العدد التاسع والثلاثون: صص **۸۳**- **۱۰۰**

الكنايات المصرية العامية من منظور تداولية اللغة

عسكر بابازاده أقدم*
حسين تكتبار فيروزجايى**
يسرا شادمان***

تاريخ الوصول: ۹۶/۹/۲۸
تاريخ القبول: ۹۷/۲/۱۵

الملخص

إن تداولية اللغة إحدى مجالات الألسنيات وهى تعالج أثر السياق على الدلالة. إنما يقصد بالسياق فى هذا المجال اللغوى، الفضاء الخارجى لنظام اللغة والذى ينقسم إلى سياقين غير لغوى ولغوى. أما الكناية، كنوع خاص للغة، فهى تعتبر نوعية موقفية خاصة. وقد يكون دراسة وتحليل سياقها وفقاً لتداولية اللغة وهى التى تعنى بالمجالات اللغوية خارجاً من نظام اللغة، فهى تسعى إلى فهم الطريقة التوظيفية للغة. قامت هذه الدارسة بتحليل ودراسة الكناية المصرية، كلغة عامية بالمنهج التحليلى- الوصفى. أدلت نتائج هذه الدراسة: ۱- أن الكناية كونها نوعاً لغوياً تُدرَس فى فضاء خارج من النظام اللغوى وبالنظر للموقف المسيطر على مستخدمى اللغة وفى إطار الدلالة غير اللغوية. ۲- نظرية لويس والتى تعدّ السياق اللغوى من مواصفات السياق غير اللغوى، رفضت من وجهة نظر هذه الدراسة. ۳- قد تكون أهم المواصفات الفريدة للكناية المصرية، البساطة فى اللفظ وتأثرها الحاد من الثقافات الأخرى، وكونها صورية وتقليداً جمّاً من الانفعالات الاجتماعية.

الكلمات الدليلية: تداولية اللغة، السياق اللغوى، السياق غير اللغوى، الأدب العامى.

* أستاذ مساعد فى اللّغة العربية وآدابها بجامعة العلوم والمعارف القرآنية، جمهورية ايران الاسلامية.
askar.babazadeh@gmail.com
** أستاذ مساعد فى اللغة العربية وآدابها بجامعة قم، جمهورية ايران الاسلامية. h.taktbar@gmail.com
*** أستاذة مساعدة فى اللغة العربية وآدابها بجامعة الزهراء، جمهورية ايران الاسلامية. y.shadman@alzahra.ac.ir
الكاتب المسؤول: عسكر بابازاده أقدم

المقدمة

فی مجال التداولية والتی «تبحث دراسة الدلالـة وعلاقتهـا بموقـف القائـل» (Leech, 1983: 6) إن لم تتوظف العبارات اللغوية المختلفة فی مواقفهـا المناسـبة، فإنهـا لا تكـون مشاركة فی تكوين العلاقة. وفقاً لهذا العلم، «إننا لا نوظف الكلام فی فراغ بـل نوظفـه فـی سياق يكون قسم منه لغوی أو غير لغوی»(صـفوی، ۱۳۹۲: ۶۰). إن اسـتدراک نـوع مـن الكلام بواسطة نوع كلامی غير مباشر، قد يكون بناءً علی سياق بيئی وخـارج نظـام اللغـة. إذن تعيننا التداولية فی التمييز بين دلالة ذلک النوع اللسانی وفی دلالة قائلها. والكنايـات هی النموذج البيّن لهذا النوع من الأنواع اللسانية. إن الكناية كنوع من الأنواع اللغوية «قـد تكون من أكثر الطرق الطبيعية تعبيراً، فهی توجد بوفور فی الكلام العامة والأمثال والحكم المتداولة فی لغتهم»(شفيعی كدكنی، ۱۳۶۶: ۱۴۸).

فبما «أن استيعاب المقصود منها يستلزم معرفة السياق الثقافی، والاجتماعی والتعـرف علی التقاليد والعادات ومجالات ذلک التعبير اللغوی»(فتوحی، ۱۳۸۷: ۱۲۳)، فتكون أكثر الكلام تعلقاً بالدلالة غير لغوية أو تحقق من خلاله». فمزيداً علـی أنهـا تكـون خـارج مـن السياق اللغوی، فقد تحتوی علی ميزة الثنائية البعدين فيفهم المقصود الرئيسـی لهـا مـن خلال السياق الخارجی للغة فحسب، لذلک، تحظی من الاهتمام الكبير فـی علـم تداوليـة اللغة الذی يدرس ويحلل الكلام ويبحث علامات توظيف اللغة ودراستها فـی عـالم خـارج من اللغة.

تسعی هذه الدراسة إلی اتخاذها المنهج التحليلی- الوصفی، تحليل الكنايـات المصـرية من خلال تداولية اللغة فی السياقين اللغوی وغير اللغوی. من هذا المنطلـق، بعـد الولـوج فی تعاريف السياقات المختلفة للغة، وبيان الإطار النظری للدراسة، تناولنا شرح المميـزات العامة للكناية من منظور التداولية؛ ثم تطرقنا إلی دراسة ومقارنة الكنايـات المصـرية فـی السياقين اللغوی وغير اللغوی لنقوم بالرد علی السؤال التـالی: مـا هـی المميـزات الفريـدة للكنايات العامية المصرية من منظور تداولية اللغة وما فرقها بالكنايات الفارسية؟

أجريت دراسات فی مجال تداولية اللغة وتحليل السياقين اللغوی وغير اللغـوی أهمهـا: مقالة «بررسی تطبيقی بافت برون‌زبانی از ديدگاه فـرث، هـايمز و لـويس»؛ مـن *مرضـيه رستميان* و *كاظم طباطبايی* التی نشرت فی سنة ۱۳۹۰ش، فی الرقم الرابع من المجلتين

المحكمتين فی مجال القرآن الكريم. ومقالة «تداولية الأقوال» من *فرانسوا ركاناتی* التی تم نشرها فی سنة ١٩٨٩، فی الرقم الرابع من مجلة «حضور الذهن واللغة» وقد درست هذه المقالة بعض الأقوال العامية للناس فی السياقين الدلالی المحقق. كذلک ألفت كتب فی هذا المجال نذكر بعض منها: « الدلالة فی التعامل: مقدمة علی التداولية» من جنی *توماس* التی طبع عام ١٩٩٥، فی لندن ويحتوی تاريخ التداولية والنظريات المتعلقة به. «تداولية اللغة» من *جورج يول* وهو يتناول المقاصد الكلامية. «علم الدلالات التداولية»، من *كوروش صفوی* الذی خص قسم منه إلی دراسة تداولية اللغة. كتبت دراسات حول دراسة الكناية وفقا للبيئة الاجتماعية ومنها مقال «الظنون الأساسية فی معايير معرفة الكناية» من *مريم جبری* الذی نشر عام ١٣٩٤ش، فی رقم ٧٩ من مجلة اللغة والأدب الفارسية.

كذلک مقالة «عوامل تكوين الكناية فی الأعمال» من *فيروز فاضلی* و*علی نصرتی* التی طبعت عام ١٣٩٣ش فی الرقم الثامن من مجلة فرهنگ نويسی؛ لكن أكبر فرق هذه الدراسة بمقارنتها للدراسات السابقة، وهو لحد الآن لم يكتب بحث حول مقارنة الكنايات المصرية فی السياقين اللغوی وغير اللغوی من منظار تداولية اللغة، والدراسة هذه تسعی للبحث والدراسة حول الكنايات العامية المصرية من هذا المنظور ومقارنتها بالكنايات الفارسية أيضاً.

تعريف الكناية

بعد النظر فی الآراء التقليدية- إما فی الشرق وإما فی الغرب- نشاهد اعتقادها أن الكناية لفظ يقصد به ما يلزم معنی آخراً- وبجواز العلاقة اللازمة لذلک المعنی- (السكاكی،١٩٨٧: ٨٧٠) أو«الكناية تعنی اللفظ المستخدم بدل لفظ أخر ليمنع من صراحة البيان»(ابن المعتز، ١٩٤٥: ١١٥) أو «المعنی الذی يراد به القائل قد يختلف تماماً من المعنی الذی نطق به»(Abrams, 1993: 97). هذه التعاريف تدلنا إلی أن التعاريف التی ذكرت حول الكناية لا تختلف اختلافاً شاسعاً من التعاريف المنظرة الحديثة لهذا النوع اللسانی. وأن الكناية فی الرأی الحديث تتوظف عندما الشخص لا يری أنه فی حاجة إلی إبانة الكلام.

مع ذلک، إن الآراء الجديدة، لا تسمی الكناية وأمثالها كالاستعارة، والمجاز و التشبيه، محسنات بلاغية، بل ترى، إنما يجب توظيف المحسنة عندما ينوى القائل أو الكاتب الخطابة والبيان فحسب أو أن الكلام «يجر إلى خلق نوع من الانزياح والحديثية فإنهم بتعمدهم الأسلوب الغريب فی الكتابة والخطابة يقصدون التأثير واستفزاز حس السامع والقارئ»(Cuddon, 1997: 750). والذی يذكر فی علم الألسنيات بالبيانات الوضعية وغير الوضعية. إذن الكناية كنوع لسانی منتشر فی كلام الناس دائماً يُعرف «محسنة الكناية» وهو يهدف إلى الانزياح.

الدلالة عبارة عن «الدور» فی «السياق»

إن الدلالة تعين فی السياق وهو «يمنح أشكالنا اللغوية، الدلالة، فهو لا يستثنی من حالتين؛ إما يكون المتعلق بالنظام اللغوی وإما يكون متعلق بالموقف»(Kelly & bock, 1986: 61).

برانيسلاو مالينوفسكی يعتبر سياق الموقف نوعاً من الفراخ فی قضية الدلالة ويرى أن اللسان فی جوهره يحتوی جزو الثقافة ونظام الحياة وتقاليد المجتمع»(Lewis, 1919: 48). بعده *جان روبرت فرث* العالم اللسانی البريطانی، جاء بنظرية مبناها «يتم تعين المؤلفات اللسانية نظراً لاستعمالاتها فی المواقف الاجتماعية المختلفة»(اولمان، لا تا: ۶۱) إذ أظهر لا يكون معناً خارجاً من السياق فمن منظور المنهج التوظيفی للمعنی الدلالة الصوتية والمعجمية والنحوية، فالكل يكون فی خدمة السياق، ومعانی الألفاظ تتعين فی ضوء التوظيف فحسب(Firth, 1950:219- 221).

أساساً لهذا يجب القول، بأن المعنی الأخير للعبارات يتم تعينه بملاحظة الموقف واستعمالاتها من خلال سياق الكلام؛ فالتداولية بملاحظة الظروف المسيطرة على الكلام كالزمان، والمكان، والمخاطب والقائل، وغيرها، تقوم بدارسة قصد المتكلم أو الكاتب وفقاً لاستخدامه اللغة فی إطار التوظيف ولأن «المواصفات الفردية للمرسل كقسم حيز من سياق الموقف للكلام»(عزت، ۱۹۷۱: ۲۳) مع أهدافه ومقاصده، كذلک لها دور فی تشكيل النص أو الكلام النافذ، فهی تتناول البحث عن السبب وأثر الخيارات اللسانية للإنسان.

لكنما يتطلب تعين قصد الأشخاص فى الدلالة اللغوية دراستها فـى السـياقين اللغـوى وغير اللغوى؛ لأن «الدوافع الكلامية تسـبب الأشـكال المتنوعـة اللسـانية. لـذلک، القيمـة الدلالية والرسائلية لا تكونان المميزتين الثابتين والذاتيتين للمؤلفات اللسانية؛ بـل تكـون حصيلة العناصر اللغوية(النصية) وغير اللغوية(الموقفية، الثقافية، و...) التـى تكـون متفاعلـة فيما بينها»(آقاگل‌زاده، ١٣٨٥: ١٥)، وإذا عبر المتكلم من مقصوده فى أجـواء تـدل علـى علاقة الوحدات الهجائية فى خارج اللغة وتطلق معانى الوحدات اللسـانية بإعانـة الوحـدات اللسانية الأخرى، سيطلق على هذه الأجواء، السياق اللغوى؛ وإن قصدت الأجواء التى يعبـر فيها القائل، ويتم استيعاب البيانات اللسـانية دون ملاحظـة العلاقـات الجواريـة، وبمجـرد استيعابها ونقلها بارتباطها مع المواقف الخارجية، فقد يكـون الفضـاء سـياقاً غيـر لغويـاً أو يسمى بالسياق الموقفى(صفوى، ١٣٩٢: ٥٨-٦١).

لهذا «دور التداولية فى بيان قصد الأشخاص، يدل على أن هذا المجال قريب جداً إلـى السـياق العـام للغـة، ويحتـوى علـى كـل الأنـواع اللغويـة الفصـحى منهـا وغيـر الفصحى»(Danet,1980: 276).

الكناية والدلالة غير اللغوية

الكناية لفظ يعبر بدلاً من لفظ آخر ليمنع مـن تصـريح البيـان(ابـن المعتـز، ١٩٤٥: ١١٥). يدل هذا الكلام على أن «المعنى الذى يقصده القائـل يختلـف مـن المعنـى الملفـوظ بـه تماماً»(Abrams, 1993: 97) لذلک الكناية «نوع من اللغة المجازية الخاصة ويجـب علـى الشخص التمتع بالمقدرة الكافية فـى فهـم اللغـة، لاسـتيعاب وفهـم أفكـار وآراء وأهـداف مخاطبه(C. Bohrn, 2012: 2680) إذ تتهيأ هذه المقدرة من خلال معرفة الشـخص مـن جهة الموقف البيئى للمتكلم، فإن استوعب المخاطـب ظـروف وموقـف المـتكلم، سـيفهم قصد ما نطق به. قد تكون هذه الظروف هى المواقف المتنوعه للمتكلم، والتى تجعل اللغـة فى حالة مجازية وتسبب بيان أنواع لغوية كالكناية.

ذكرنا آنفاً أن تداولية اللغة تدرس اللغة فى دلالتها اللغوية وتشتمل هذه الدلالة نفسـها على سياقين لغوى وغير لغوى. نظراً لنظرية الدلالة اللغوية، أصـبح بإمكاننـا الإشـارة إلـى مجموعة من المميزات الفريدة للكناية كالتالى:

١. ثنائيتها

للكناية بعدان، بعد يشكل نطاق المبدأ والآخر يشكل نطاق المقصد.

نموذجاً نذكر الأمثال التالية: «دِمَاغُه نَاشِفَه» و«آخِر العُنقـود»؛ كـل منهمـا تعنـى «لا يفهم» و«دلوع»؛ ذكـرت كنطـاق مفهومى(مبـدأ) لنقصـد مـن خلالهمـا نطـاق مفهـومى آخر(المقصد) وفقاً للموقف المسيطر على المتكلم والسامع. نطاقات المبدأ كلها تكـون إمـا حسية، وإما لمسية. إننا لا نستطيع نفوذ شيء فـى مكـان جـاف وصـلب، لهـذا اسـتيعاب مفاهيم كالشعور والعقل وقلة فهم الأشخاص تتطلب أمـر وصـفى ملمـوس كعـدم دخـول شيء جاف مثل الصخرة أو اللبنة. آخر العنقود يدل على أن هذا العنقود لا يكـون فيـه أى حبة أخرى؛ لهذا يكون آخر ابن العائلة شبيهاً لآخر حبة عنقود العنـب. لفظـة «ناموسـية» فى مصر بمعنى «العائق للبعوضة» و«كحلى» بمعنى «الأزرق الداكن». من هذا المنطلـق، الإنسان مـا إن لا يسـتطع ملاحظـة العلاقـات الموجـودة بـين المصـطلحات(البعد الأول) والنظـام المفهـومى له(البعـد الثـانى) لا يسـتطع فـى الحصـول علـى المعنـى العـام لها(واينر،١٩٨٨: ١٠) إذ «يجب على السامع معرفة العلاقة بين ما قيل(النطاق المبدأ) وما لم يقل(النطاق المقصد)». ولا توفر له هذه الإمكانية إلا الاستعارات المفهومية.

٢. كونها صورية

أحياناً يبادر الأشخاص بإظهار تصوير الكناية، بدل توظيفها(Currie, 2012: 151-153) نموذجاً فى عبارة «مَعَاكُم مَعَاكُم علَيكُم علَيكُم» وهـى تكنـى «المتغلـب»، إذ يـتم فهـم المفهوم المطلوب بنـوع مـن التصـاوير المصـطنعة فيسـتخدم التصـوير المرافـق للكنايـة لاستيعاب عدم الاعتقاد بصحة أمرما أو خطأه؛ بمعنى إن كان الكل معاكم فـنحن كـذلك معاكم وإن لم يكن الكل معاكم فنحن نكن ضدكم؛ كما يستعمل فى الفارسية «حزب بـاد بودن». فى كنايات «بين المِطرقَة والسِّندان: لا يقدم ولا يدبر» و«أنضف من الصـينى بعـد غسيله: أصبح فى جيبه بيت العنكبوت»، وكذلك يكون الحـال فـى الكنايـة الأولـى صـور مفهوم(لا يوجد أى منفذ)، بشكل شخص علق فيما بين المطرقة والسـندان، فـى الكنايـة الثانية، صور الفقر كوعاء فارغ من الطعام إذ يدل على الجوع.

٣. كونها ذات دلالة

يذكر *جوشوآ /وربک* الكناية كاستدلال فى الافعال التى تجرى فيما بين الأشخاص، ويرى أنها كاستدلال تحصل فى الأفعال المتقابلة بين الشخصين تدل على المفهوم الرئيس الذى يوجد فى الذهن(Averbeck, 2015: 88-94). لهذا الأثر الذى يخلفه الفعل غير البيانى على المخاطب يسمى الفعل المؤثر؛ كلإقناع والمنع و...(آقاگل‌زاده، ١٣٨٥: ٣٠). لهذا نستطيع أن نقول بإمكان البيان المجازى لأن يكون آلة جيدة لإقناع الطرف المقابل، كنموذج نشير إلى كنايات «مَاشى عَلَى قِشر بِيض: يمشى بانتكاء العصا»، «مَاشى عَلَى قِشر بِيض: زلق ماء فمه». فى النموذج الأول، غشاء البيض يكون لزجاً وناعماً؛ فالمشى عليه يستلزم الاحتياط الجم. فسبب الاحتياط، عدم الثقة بغشاء البيض كمكان موثق للترجل عليه. وفى الكناية الثانية، بمعنى إلى أن نشتهى شيئاً ما لنبادر بتذويقه؛ وسبب تزلج ماء الفم، ذوق الشىء أو تصوره فى الذهن.

٤. كونها ملخصة

الكناية نوع من اللغة تنتج المعانى الدلالية الكثيرة بكمية قليلة من الألفاظ. فتختصر الكناية أحياناً بمفردة واحدة فقط؛ نموذجاً كلمات مثل:« استربع: انغر بنفسه» و«شخبطه: لا يجيد الكتابه الجميله» وهما يعنيان «جعل نفسه عالما» و«الخط القبيح» فهى تكونت من عبارة واحدة، فى حال إنها تحمل المعانى الكثيرة. فالكناية الأولى، تصور لنا شخصاً جالساً بتربيع الرجلين إذ يظهر أنه محترم وتدل على الثقة العالية أيضاً، ثم إنها تؤكد مفاهيم مثل «سريع الرد» و«الغرطسة» وغير ذلک مما يحصل كل من هذه المفاهيم وفقاً للمواقف المختلفة. أما «الشخبطة» فى مصر فتطلق للخط الذى لا يظهر فيه ابتداء وانتهاء الجمل فتعنى أحياناً مفاهيم مثل «المبعثر»، أو «غير منظم»، و«المبهدل» وغير ذلک. نظراً لما ذكرنا آنفاً، إن الكناية لا تظهر نفسها فى سياق العبارة أو الجملة فحسب؛ بل لو حصل الموقف المناسب فتحدث فى الكلمة حتى؛ لذلک كل كناية تستطيع أن تكون ذات أبعاد، حتى وإن كانت ذات بعد معنوى واحد، وللحصول على ذلک المعنى يجب أن نعيد مفاهيم كثيرة فى الذهن.

٥. تمتعها بمحور التبديل

استبدال بعض العبارات وفقاً للظروف البيئية والموقفية بكلمات أخرى هي إحدى مواصفات الكناية في التداولية، نموذجاً في كنايات «بعد خراب مالطه: العلاج بعد موت سهراب»؛ «خلاه يرن: اتركه في حاله» وغيرها فهي تداولت في اللغة المصرية العامية هكذا؛ ثم تغيرت في اللغة الشامية بـ«بعد خراب البصرة» و«سيبه يرن»؛ وهذا لأن الأشخاص في استعمال لغتهم قد يكونون متأثرين مباشرة بالموقف والظروف المسيطرة على لغتهم إذ يدخلون لا وعيهم عند استعمال اللغة»(Leech, 1983:6). بالمجموع وبالنظر للميزات التي ذكرناها آنفاً، حدة المواصفات غير اللغوية لكل من الكنايات الفارسية والمصرية تكون بالصورة التالية:

	دراسة ٥٠٠ كناية مصرية		دراسة ٥٠٠ كناية فارسية	
مميزات الدلالة غير لغوية	العدد	بالمائة	العدد	بالمائة
التجارب البسيطة	٤٢٥ نموذجاً	٨٥ ٪	٢٧٠نموذجاً	٥٤ ٪
مستوى بساطة الألفاظ	٥٠٠ نموذجاً	١٠٠ ٪	٢٥٥ نموذجاً	٥١ ٪
سهولة الوصول إلى المفهوم	٣٧٥ نموذجاً	٧٥ ٪	٣٠٥ نموذجاً	٦١ ٪
الموقف الحسي	٥٠٠ نموذجاً	١٠٠ ٪	٥٠٠ نموذجاً	١٠٠ ٪
الموقف المتجرد	٥٠٠ نموذجاً	١٠٠ ٪	٥٠٠ نموذجاً	١٠٠ ٪

يقصد بالموقف الحسي في الجدول الأعلى، التجارب الحسية والملموسة ويقصد بالموقف المجرد، التجارب الثقافية، والاجتماعية و... نظراً للاحصائيات التي حصلت، يستخدم المصريون في استعمالهم الكناية أبسط تجاربهم لبيان القصد. كما أن في اللغتين، يمكن استيعاب الوصول إلى معاني اللفظ في موقف حسي- متجرد. حيث أن الكنايات المصرية تكون أكثر فهماً مقارنة بالكنايات الفارسية، وذلك بسبب الألفاظ والتجارب البسيطة لها.

السياق اللغوي

بما أن دراسة المعنى في السياق اللغوي قد تشبه دراسة المعنى في السياق اللغوي إلى حد كثير؛ يتم التعبير عن دلالة البيانات اللسانية في السياق اللغوي وبواسطة الإليات التي جعلها لنا علم الدلالات النظري في مجال التداولية؛ هذه الإليات تكون:

١. الارجاع

فی مجال تداولية اللغة، «يفضل أن نفرض عمليه الارجاع بمثابة عمل من خلاله يستطيع المتكلم والكاتب بتوظيف الأشكال اللسانية توفير ظروف للسامع أو القارئ ليعرف ظاهرة ما»(يول، ١٣٨٧: ٢٩). وتكون هذه الأشكال اللسانية نفسها الأسماء المعرفة وهی تشمل الأسماء الخاصة كـ«زهراء وزينب» والضمائر والإشارات كـ«ذلک، وهذا، وهم»؛ والمضاف للمعرفة مثل «أخت مريم، كتاب علی» أو ضمير يرجع إلى النكرة التی وضح سابقاً». لذلک يقصد من الأشكال اللسانية تلک الأشكال التی نعرف بواسطتها بعض الأمور التی تُكلم حولها أو يتكلم عنها وفقا للعلاقات المجاورة بين الوحدات الهجائية. لاحظوا الكنايات التلية:

«أخد ديله فی سنانه»: مسک ملبسه بفمه؛ ويكنی بالفرار والهروب بسبب الخوف. «أنظف من الصينی بعد غسيله» ويكنی بالفقر والفاقة وعدم امتلاک أی مال. «جری ريقه عليه» ويكنی باشتهاء الأكل؛ «خلاه يرن»: يكنی بتركه بحاله. «بيته مفتوح»: باب بيته مفتوح للكل؛ يكنی بالسخاوة. «حط رأسه فی الجراب»: غش أحد. ويكنی بالتحيل والغش مع الناس. «داير علی حل شعره»: أن تعطی شخص اللحيه والمقراض؛ ويكنی بأنک تجعل اختيارک التام بيده.

٢. الافتراض

وهو يعنی أن المتكلم لا يذكر الجمل المفترضه فی كلامه؛ لأن من المفترض أن المخاطب له علم بهذه المعلومات سابقاً(صفوی، ١٣٩٢: ۶۶)، «وهذا يعنی أن المتكلم له علم مفترض ولا الجمل»(يول، ١٣٨٧: ۴٠) إذ يجب أن نعد «الافتراض» من الإليات التی تعطی الاختيار للمخاطب إلى أن يستوعب ويستخرج الحقائق المخبئة، والتی لا تختلف من رؤية تداولية اللغة من الافتراض الدلالی. والافتراض يعنی أنكم مع العلم بجملة «الف» يجب أن تصلوا إلى معنی جملة «ب». نموذجاً فی جملة «أن مرض سعيد عولج فی اروبا»، دون إشارة المتكلم لرحيل سعيد إلى اروبا، انتبه المخاطب إلى جملة «أن سعيد كان فی اروبا»، فلذلک استطاع الافتراض بواسطته وبسهولة. لكن هل يصدق هذا الأمر علی الكنايات أيضاً؟ «رَماه من عينه»: سقط من عين أحد. «شم نفسه»: أخذ نفساً طلقاً:

ويعنى تجاوز الأزمة والخلاص منها. «عدم الجلد والسقط»: فقد كل ما عنده من مال وحلال. «كتم الدم على القيح»: حفظ احمرار وجهه بالصفعة؛ يكنى بحفظ الحرمة. «لا ينفع طلبه ولا طار»: لا يرجى منه الخير ولا أمل به. «لسانه مالوش تقاله»: لا يبقى كلام فى فمه؛ يكنى بعدم احتفاظه الاسرار. «بِينُه وبِينُه مَا صِنعَ الحَدَّاد»: فى خلاف بين شخصين؛ علاقتهما سيئة جداً. فى الأمثلة السالفة نستطيع افتراض: الشخصية المحترمة لشخص ما فى السابق؛ سوء الوضع فى زمان ما، المعاناة من شىء فى أوان ما، الفقر والحاجة فى الماضى، التصبر، عبثية وجود إنسان ما، إفشاء السر فى الماضى، مشاهده النزاع بين شخصين.

بعبارة أخرى، لكل كناية نوع من الافتراض حيث لا يحتاج ذكره.

٣. الاستنتاج

للحصول على الاستنتاج فى تداولية اللغة يجب أن يكون لنا مقدمة لنستنتج منها شيئاً ما. نموذجاً إن قيل لنا فى جملتين «لكل معلم تلميذ» و«على معلم» نستنتج أن «علياً تلميذ». لكن هذه الميزة لا تنطلق على الكناية مثل فى «تُرُشُ مَا ينزِلش المِلح: لا يكون مكان لرمى الابرة حتى» و«زَىَّ الشَّمس: كالشمس وسط النهار» تدل على شدة الازدحام وتبيين الحقيقة من المؤكد إن الموقف الذى جعل فيه المتكلم هو الأمر الوحيد إلى أن يكون المقدمة لهاتين الكنايتين. وإن لا يكون مكاناً مزدحماً ولا توجد حقيقة فلا أحد يستخدم كهذه العبارة ولا تأتى الكناية المعنية فى الذهن بتاتاً؛ كذلك الكناية الثانية؛ إذ يجب أن يحدث أمر ما أو يسنح موضوع لنصل بواسطته إلى أن كل شىء واضح كالشمس وسط النهار.

لكنما لا يستنتج من أى العبارات التى ذكرت آنفاً كالصورة التى تأتى فى السياق اللغوى. فمثلا نستنتج من الكناية الأولى «هذا المكان لا يكون مزدحماً». فإن نشاهد مكاناً مزدحماً، فلا نستنبط ذلك منه.

إضافة على ذلك، حتى وإن قبل الاستنتاج الدلالى فى كنايات ما، كالتى ذكرت فلا نستطيع الاسنتباط من الكنايات الأحادية الكلمة مثل ذلك التطبيق أيضاً؛ لأن مثل هذا التحليل يحتاج إلى جملة، ولا كلمة.

۴. التضاد الدلالی

من القضايا التی تذكر فی السياق اللغوی، وينتبه إليها فی مستوى الجملة وتهدف تعين الصدق والكذب للبيانات اللغوية هی التضاد الدلالی. نموذجاً فی الجملتين «العازب لا يذهب إلى الخطوبة» و«ذهب على إلى الخطبة»، توصل إلينا جملة «على عازب». فمن الواضح هذا التطبيق لا يمكن العمل به فی الكنايات. وفی مثل هذه الكنايات نموذجاً «مَأجَّر السُّطوح: أجر سطوح البيت» و«جَز عَلَی سِنانُه: صم اسنانه» وبالتوالی تعنيان البلاهة والعصبية الكثيرة، وحتى بعد الفهم الأساسی للكناية، لا نستطيع ايجاد التضاد الدلالی فی الجملة؛ لأنما يحصل التضاد الدلالی وفقاً للالفاظ، ولا وفقاً لمفهومها الذهنی؛ لذلک لا يجب أن تكون الجملة فعل غير مباشر.

۵. الدلالات المترادفة

يقصد بالدلالات المترادفة، استبدال جملة محل جملة أخرى. نموذجاً «محمد عازب» وجملة «لا تكون لمحمد امرأة» وجملة «محمد لم يتزوج إلى الآن» وغيرها مما تدل على العزوبية. ولكن هذه المسألة لا تنطلق فی مستوى الكنايات. مثال «خَرقَ البَاب بإبره» أو «فَحتِ البير بإبره» التی تعنی «قطع الرأس بالقطن» فی الفارسية، إذ يكونان مترادفين، ولكن من حيث البناء لا تتغير كجملة «محمد عازب».

نظرا لما ذكرنا آنفاً، غير المؤلفة الأولی(الإرجاع)، باقی المؤلفات المرتبطة بالسياق اللغوی لا تطبق على الكنايات والسبب الرئيس لهذا الأمر، كون الكناية استعارية؛ إضافة على ذلک، أن الكناية حصلت فی سياق الثقافة حيث أن حروفها وجملاتها تجری دائماً بشكل متداول فی لغة الأشخاص المختلفين.

السياق غير اللغوی

وفق رأی *دل هايمز*، يستفاد الأشخاص من اللغة على قرار الموقف الذی يعرفانه؛ لأن ما يحمل الدلالة فی حوار ما هی الظروف المسيطرة على كلا العاملين فی لغة المتكلم والسامع. ثم «من منظر *هايمز*، خلافاً لمنظر *جامسكی* إذا كانت الجمل منقطعة من النص فلا تعد جملاً»(آقاگل‌زاده، ۱۳۸۵: ۴۱). نموذجاً إذا قال أحد لكم «يدقون باب البيت»،

القصد الحقيقی له أن «افتح الباب». فی النهائية، إن لم يدق الباب لا يحصل كهذا الموقف لبيان مثل هذه الجملة أصلاً. لذلک برأی *هايمز*، من له المقدرة التواصلية، يجب أن يعرف مدی تناسب شكل لغوی بسياق اجتماعی خاص(هايمز، ۱۹۷۲: ۲۷۷). لتبيين مفهوم سياق الموقف أو السياق غير اللغوی وتشريح دوره فی فهم وإيصال المعنی، يجب فی البداية تعيين مؤلفاته؛ تشتمل هذه المؤلفات فی نظرية *هايمز* علی «المتكلم»، «السامع»، «الموضوع»، «الموقف المكانی أو الزمانی»، «طريقة العلاقة»، «صورة الرسالة»، «الأشخاص الحاضرين والشاهدين للحوار»، «مواد التقييم»، و«المقصود من الحوار»(صفوی، ۱۳۹۲: ۸۱) وهذه المؤلفات تشكل سياق الفضاء الحواری. بالواقع إنها تشكل قسماً من النظام الدلالی الذی يتوظف وفقاً للأهداف الخاصة للمستخدمين ولذلک تعد التداولية فرعاً من علم الدلالات المعروف(رنكما، ۱۹۹۳: ۲۰-۲۲). أحياناً بعض هذه المؤلفات تحذف، لكن لا تتكون بشكل متداول أو بشكل مرحلی؛ بل تتكون بصورة متزامنة فی مبادرة خلق الدلالات تماماً. نموذجاً كناية «خَليها حَلقَه فِی وِدنُک: علق هذا الكلام فی اذانک»، تكنی حفظ مسألة مهمة فی الذهن وتثبيتها فيه، وتحصل فی الموقف الذی يريد المتكلم إنذار السامع وتحذيره، ويحلل هذا المثل بهذه الطريقة:

أ) القائل: هو الأب القلق بشأن خطأ ابنه فی اختياره الصديق

ب) السامع: هو الولد رسول الذی اختار أحد زملائه صديقاً حميماً

ج) الموضوع: كلام رسول حول اختياره صديقه

د) الموقف المكانی والزمانی: بيت رسول

هـ) الرموز الكلامية: اللغة العامية المصرية

و) صورة الرسالة: تنبه الأب إلی ابنه

ز) الحدث: حوار الأب مع ابنه

ح) الحضار والمشاهدون للحوار: لا أحد

ط) مواد التقييم: أن السامع لا يعرف هل ينتبه ابنه إلی حذره أو لا وهل ينجح هذا الحوار فی التأثير أم لا

ی) المقصود من الحوار: تسليم الابن مقابل الأب

حذف «الحضار والمشاهدين»، موقف المتكلم باعتباره الكبير فى الثقافة المصرية وتعلق البيت إلى مسؤل العائلة وهو الأب، يسمح للأب أن يوظف الكناية بطريقة محذرة ومهددة «خليها حلقة فى ودنک».

لذلک حذف، ووجود كل من المؤلفات الآنفة الذكر فى اختيار الكناية من جانب المتكلم يمكن أن يكون مؤثراً جداً. من المؤكد إن قمنا بدراسة سياق الموقف لهذه الكناية فى بلد آخر، سيكون لها ظروف مختلفة تماماً. وبما أن ملزوم الكناية، تطبيقها بالظروف وأحياناً تتخذ شكلاً أحادى الكلمة، نستطيع دراستها فى السياق اللغوى جيداً. بعد دراسة المؤلفات التى تشكل سياق الموقف، نصل إلى مسائل سيكون استيعابها برأى *هايمز* مرتبط بالسياق غير اللغوى. هذه المسائل هى المؤشرات والبدائل.

١. المؤشرات

تتقسم المؤشرات إلى ثلاثة أقسام، الإنسانية، والمكانية، والزمانية. المؤشرات المكانية كـ«هنا وهناک» أو الجهات الست والزمانية كأمس، واليوم وبكرى، وغيرها وهى تتميز بواسطة الفعل أحياناً. تطرقنا قبل هذه إلى المؤشرات الإنسانية. والآن نتطرق إلى المؤشرات المكانية والزمانية:

رضع الحليب النقى؛ يكنى بأنه شريف. «تجِىء عَلَى أهوَن سَبَب»: بالمزاح أصبح جداً. «من الأول للآخر»: يكنى بحكاية كل ما حدث من الالف إلى إلياء. «مأجَّر السطوح»: أجر الأسطوح؛ يكنى من الذى فقد عقله وجن. «ما يخرش الميه»: لا تدخل الشعرة فى ثقبه؛ يكنى القيام بالعمل بأدق التفاصيل. «لقمة العيش»: قوت لا يموت؛ يكنى بالأكل القليل الوجيز الذى لا يشبع. «يجعلها آخر الأحزان»: البقية بحياتكم. إن المؤشرات المكانية فى الكنايات الآنفة الذكر بإمكانها الإشارة إلى كل مكان.

لكنما ما يجب قوله حول المؤشرات الزمانية أن الزمان والفعل الذى يكون فى العبارة الكناية وإن تعلق بأى زمان فيستعمل للزمان الحال أيضاً. بمعنى أن الأهمية الزمانية المفقودة والكناية المتعلقة بكل زمان. والكنايات التى لا يوجد فيها فعل والزمان فيها مبهما فتكون بالعادة من النوع الاسمية أو الخبر وقد حذف فيها إذ نستطيع فرضه «كان» أو «يكون» نظراً لموقف الشخص.

٢. البدائل

يقصد من الاستبدال الموقف المسيطر على اللغة؛ بمعنى أن كل كناية تستطيع البيان فی مواقف مختلفة من اللغة. مثل:

زِبدَة عَلَی فطِيرَة(تكنی الحصول على الشیء بسهولة)		
المؤلفات	**الموقف الأول**	**الموقف الثانی**
المتكلم	الطالب الأول	خطيب العلوم السياسية
السامع	الطالب الثانی	الناس
الموضوع	اختبار التاريخ الاسلامی	الخطابة فی مؤتمر ما
الموقف المكانی والزمانی	الجامعة، آخر يوم الاختبارات	إحدى كليات القاهرة
الرموز	اللغة المصرية العامية	اللغة المصرية العامية
صورة الرسالة	السؤال حول كيفية الاختبار	السؤال حول كيفية تقديم الخطابة
الحدث	حوار طالبين من فرع واحد	الخطابة أمام جمع من الناس
الحضار والمشاهدين	باقی الزملاء	الناس ومسؤلو الجامعة
آليات التقييم	المتكلم لا يريد إظهار الضعف	المتكلم يسعى أن يكون هادئاً
القصد من الحوار	معرفة رأی المنافسين فی الدرس	استخبار الناس

٣. المعارف

وفی هذه الحالة قائل الكناية واثق أن السامع يعرف المقصود بالكناية ولا يحتاج لشرح بمعنى أن موقف الكناية من حوار الجانبين يسبب هذه المعرفة. لذلک الكناية بإمكانها خلق بيانات معروفة:

«لِه واشرَب ميتُه»: يكنی بخسران الشیء قيمته. «عَلَی إيديه نَقشُ الحِنَة»: يكنی بأنه لا يتعب نفسه ولا يعمل أی شی وأنه كسول. «قد حق الكبريت»: بمقياس علبة الكبريت. ويكنی بضيق المكان. «القلوب عند بعضها»: ويكنی بأن القلوب تذكر بعضها فی نفس الوقت. «لا حياة لمن تنادی»: لا من أمل فی انتباهه. «سحب السجادة من تحت رجليه»: أن تخون أحداً وتطعنه من خلفه.

فی كل الكنايات التی ذكرت سابقاً يكفی أن القائل والسامع يكونان فی الموقف اللازم. فی الكناية الأولی، قال شخص لصديقه: فلان واعدنی بالتوظيف؛ والسامع فی الرد يقول: «لِه واشرَب ميتُه»؛ بمعنى أنه ليس بحاجة ليذكره بسبب معرفته المسبقة له، فلا يتحقق

هذا الطلب من جانبه. وفى الكناية التالية، تتضح شدة كسولة الشخص دون الإضاحة والشرح الأكثر وبمجرد ذكر الكناية. أو افترضوا شخصاً يقول لشخص آخر: «لماذا لا تذهب مريم لبيت زهراء؟» والمخاطب بدل الشرح الطويل، يكتفى بقول هذه الكناية «بِينُه وِبينُه مَا صِنعَ الحَدَّاد».

نتيجة البحث

تتمتع الكناية بسبب تعلقها الزمانى والمكانى من التسايرات الدلالية الخاصة التى تدرس فى السياق غير اللغوى فى انشعاب تداولية اللغة.

بما أن الدور والقصد من الكلام الملمح يميز فى السياق ويترافق هذا السياق مع الصورى والتلخيص والاستدلالى والكناية كنوع لسانى يتولد من عوامل مثل المجتمع والموقف الجغرافى والثقافى والسياسى وغيرها، فيتكون فى فضاء خارج من النظام اللغوى الإنسانى والموقف المسيطر على مستخدمى اللغة، يكون صانعه؛ فيجب أن نسميه الدلالة غير لغوية. ويكون للفضاء الخارجى لنظام اللغة(الدلالة غير لغوية) سياقين لغوى وغير لغوى ونظراً للتحاليل التى أجريت على خمسمائة كناية مصرية وفارسية؛ الكناية بسبب تعلقها الزمانى والمكانى تتمتع من الانعطاف الدلالى الخاص لها. من هذا المنطلق يذكر هذا المصطلح بالسياق غير اللغوى.

هذه الدراسة تشتمل وتطبق على كل الكنايات وفى كل الألسنة؛ لأن الكنايات فى أى مكان العالم، تشكل وفقاً للمواقف الحاكمة على اللسان وتدرس فى السياق غير اللغوى.

فى مجال دراسة «الكناية»، ومن وجهة نظر هذه الدراسة، تُرفَض نظرية لويس التى تعد السياق اللغوى من مميزات السياق غير اللغوى؛ لأنه يستخدم مؤلفه باسم «المباحث السابقة» والتى تتعلق بالسياق غير اللغوى أساساً للدراسات التى درست الكناية لا تتشكل فى هذا السياق؛ لأن الأشكال اللسانية فى مجال «الأبحاث الماضية» تكون عبارات كـ«وفقاً لما قيل ..»، «كما أشير...» وغيرها فلا يستعمل مثل هذه العبارات فى الكناية.

بسبب مميزة التأنيث والتذكير فى اللغة العربية واللهجات المختلفة لها، تتمتع هذه اللغة من المميزات الإنسانية دائماً وفى كل الظروف؛ لأن البناء اللغوى والنحوى لها يسمح اتخاذ ضمير لكل شىء، لكن هذه المميزة لا تتمتع بها اللغة الفارسية.

إن الاستعارات المفهومية تستخدم لفهم ولتحليل الكنايات الفارسية والمصرية ووفقاً للمجالين المبدأ والمقصد، فيحصل فهم واستيعاب أفضل للكنايات.

السياق الموقفى فى الكنايات المصرية سبب إزالة الموقف الزمانى إذ اختصت الكناية بكل الأزمنة ولا يحظى ظاهر الأفعال من الجزمية والتعيين. فالمؤشر المكانى يكون هكذا أيضاً.

من منطلق تداولية اللغة، بساطة اللفظ والتأثر الحاد من الثقافات الأخرى والصورية الكناية والتقليد من الأفعال والخلق الاجتماعية تكون من المميزات الفريدة الأخرى للكنايات المصرية.

المصادر والمراجع

ابن المعتز، عبدالله. ١٩٤٥م، **البديع**، تحقيق محمد عبدالمنعم الخفاجي، مصر: دار الكتب العربية.

انوری، حسن. ١٣٩٠ش، **فرهنگ کنایات سخن**، الطبعة الثالثة، تهران: منشورات سخن.

آقاگل‌زاده، فردوس. ١٣٨٥ش، **تحلیل گفتمان انتقادی**، تهران: انتشارات علمی فرهنگی.

تیمور باشا، أحمد. ٢٠١٢م، **الكنايات العامية**، مصر: مؤسسة هنداوی للتعليم والثقافة.

السكاكی، يوسف بن أبی بكر بن محمد بن علی. ١٩٨٧م، **مفتاح العلوم**، تحقيق نعيم زرزور، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية.

شفیعی کدکنی، محمدرضا. ١٣٦٦ش، **صور خیال در شعر فارسی**، الطبعة الثالثة، تهران: منشورات آگاه.

صفوی، کورش. ١٣٩٢ش، **معنی‌شناسی کاربردی**، الطبعة الثانية، تهران: منشورات همشهری.

عزيز، اشرف. لا تا، **الكنايات العامية المصرية**، مصر: دار الكتب العربية.

لويس، م. ١٩١٩م، **اللغة فی المجتمع**، ترجمة تمام حسان، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

يول، جرج. ١٣٨٧ش، **کاربردشناسی زبان**، ترجمة محمد عموزاده ومنوچهر توانگر، الطبعة الثانية، تهران: منشورات سمت.

الكتب الإنجليزية

Abrams M. H (1993). .A Glossary of literary Terms. New york: Holt, Richard and winston, Inc.

Averbeck, Joshua M (2015). «Irony in interpersonal conflict scenarios: Differences in ironic argument endorsement and suppression across topics». Journal of Argumentation in Context, 87-110.

Cuddon J.A.(1997).A Dictionary of Literary Terms. Penguin Books.

Currie, G (2012). The Irony in Pictures. Hallward Library, University of Nottingham, 149-167.

Danet, B (1980). Language in the Legal Process. Law and Society Review, 14(3), 445–564.

Firth J. R(1950). Papers in linguistics. Oxford University Press.

Isabel C. Bohrn Ulrike Altmann & Arthur M. Jacobs (2012). «Looking at the brains behind figurative language-A quantitative meta-analysis of neuroimaging studies on metaphor, idiom, and irony processing». An International Journal in Behavioural and Cognitive Neuroscience. 2669- 2683.

Kelly, Michael h & J (1986). Kathryn bock. «Prototypicality in a Linguistic Context: Effects on Sentence Structure», Journal of memory and language.

Leech, Geoffrey N (1983). Principles of Pragmatics. pearson education limited, United States.

Lewis, M. M, (1919). Language in the community. Translated by: Tammam Hassan, Cairo: dar ehyaa al-kotob al-mesriyath.

Roberts Richard M & Roger J. Kreuz (1994). «Why do people use figurative language». Research Article: psychological science, 159-163.

Winner, Ellen (1988).The Point of Words: Children's Understanding of Metaphor and Irony, Harvard University Press.

المقالات

فتوحی رود معجنی، محمود. ۱۳۸۷ش، «**ساخت‌شکنی بلاغی: نقش صناعت بلاغی در شکســت و واسازی متن**»، نقد ادبی، السنة الأولی، الرقم الثالث، صص ۱۱۱-۱۳۶.

عزت، علی. ۱۹۷۱م، «**اللغة ونظرية السياق**»، الفكر المعاصر، العدد ۷۶.